لن تقف الشمس
على اسوار بيروت

لعل ما حدث لمناحم بيغن على قلعة الشقيف الاسطورية يشكل بحد ذاته تلخيصا مدهشا لغزوة اسرائيل الفندالية في اللحم اللبناني والدم الفلسطيني.

هناك، عالياً، وحيث سجل المقاتل الفلسطيني مأثرة جديدة من مآثر البطولة والفداء توجه بيغن، بغطرسته المهزوزة المعهودة، الى احد جنوده المبهورين:

بيغن- هل استسلموا؟

الجندي - لا

بيغن - اذن هربوا..

الجندي - لا

ومضى بيغن دابا على عكازه وكأن احدا دلق عليه سطلا من الماء المثلج...

وتدخل الجنراليزمو شارون في محاولة يائسة لاشباع شهوة رئيسه:

شارون: ماتوا او هربوا...

لاحظوا كلمة "ماتوا" هذه وما تحويه هنا من معنى الشماتة

الهمجية.. الا ان ارتعاشة الجانب الايسر شبه المفلوج من انف شارون كانت دليلا واضحا على ان الرجل ليس على ما يرام!

وحتى تكتمل الصورة فلا بد من الاشارة الى ابزواء الجنراليزمو الأخر رفول ايتان بعد سقوط نائبه في الغزوة المقززة والتي سيكون لها ما بعدها من مضاعفات حتمية وبعيدة المدى.

هذا على المستوى "الرسمي". اما على المستوى الشعبي فيتلخص الموقف في ردود سكان تل ابيب على مراسل "يديعوت احرونوت" (١٣-٦) الذي استطلع رأيهم في الحرب الاخيرة: "القلب مهموم والحياة ماضية"... ولم تخف الصحف الصهيونية الصادرة في الايام الاخيرة قلقها من ردود الفعل الشعبية في العالم بأسره واللهجة غير المؤيدة لاسرائيل في وسائل الاعلام حتى في الولايات المتحدة نفسها، من شدة الدمار والهلاك اللذين رافقا جيش الغزاة في رحلته غير الميمونة اطلاقا.. وتنتقل كاميرا التلفزيون فورا الى فييتنا حيث وقع انفجار بجوار منزل فيزنتال المسمى في اسرائيل بـ "صياد النازيين". ويتساءل المرء: من كان وراء هذا الانفجار؟ وما هي اهدافه؟ ثم، اليس واضحا ان وقوع الانفجار في اثناء غياب فيزنتال عن منزله (صدفة؟!) استهدف صرف الانظار عن جرائم الحرب البشعة التي ارتكبها الغزاة في لبنان، والتلويح مرة اخرى بالقميص اياه، قميص ضحايا النازية؟ الا ان خبراء الحرب النفسية والمخابرات لن "يأكلوا حلاوة" بعقول عقلاء العالم بعد ان اصبح التستر او الدفاع عن جرائم حكام اسرائيل مهمة مستحيلة. وبعد ان غطى الدم الفلسطيني واللبناني المسفوك بأيدي هؤلاء السفاحين خريطة العالم برمته.

إن هذه الحرب الجديدة، اسوة بكل حروب اسرائيل، لا تتعدى كونها محاولة مستميتة لقمع نواميس التاريخ الانساني واستبدالها

بنواميس قطاع الطرق والقراصنة علما بأن قطع الطرق والقرصنة اصبحا نهجا قانونيا وفق اعراف لصوص العالم الرأسماليين والاحتكاريين، وفي طليعتهم النظام الاميركي، رأس الافعى، فاسرائيل، كما يعرّفها رئيس وزرائها المنتخب مناحم بيغن، هي اكبر وافضل حاملة طائرات اميركية. ومن هذا المنظور يصبح جيش اسرائيل عبارة عن "فرقة اجنبية" في الجيش الاميركي. وعليه فلا يجوز لنا التعامل مع حروب اسرائيل من خلال التسميات والشعارات التي يلصقها بها مشعلو هذه الحروب.

الحرب الاخيرة، مثلا، تسمى في اسرائيل "عملية سلام الجليل"، وهذه التسمية الايجابية لفظا وشكلا تحمل-عبر ما هو حاصل-المضامين التالية:

١- الشهوة الحيوانية لتصفية الفلسطيني إنساناً وقضية وثورة.

٢- اقامة دويلات طائفية على النسق الاسرائيلي في لبنان تكون ظهيرا للصهاينة في عدوانهم المبرمج والمعد لهم خصيصا على حركات التحرر في المنطقة وفي العالم.

٣- اقتطاع قطعة من الارض اللبنانية لتصبح قاعدة عسكرية لما يسمى قوات الانتشار السريع الاميركية أسوة بما حدث في سيناء.

٤- العمل على تحقيق الحلم الصهيوني المعروف بضم جنوب لبنان الى اسرائيل.

٥- تركيع سورية وجرها الى حظيرة كامب ديفيد.

كان الهدف الاسرائيلي المعلن من هذه الحرب هو اخلاء شريط لبناني بعمق ٤٠ كلم من الفدائيين الفلسطينيين .. ومنذ ١٠-٦ اخذت الصحف الاسرائيلية، لاسيما هآرتس وجروزلم بوست ودفار

وعل همشمار، تتساءل عن مبررات الاستمرار في الزحف ما دام قد تأتى للجيش الاسرائيلي تحقيق هذه الغاية!

ولم تتردد "هآرتس" (١٠-٦) في الايحاء بأن اريك شارون ومناحم بيغن خدعا الحكومة وان الحكومة خدعت الكنيست. صحيح ان الحديث عن "خديعة" هو نفسه خديعة. الا ان وقائع الحرب وارتفاع عدد الخسائر الاسرائيلية البشرية والمادية وعنف المقاومة الفلسطينية-اللبنانية والصدام مع الجيش السوري، كل هذه الأمور كفيلة باثارة بعض التساؤلات عن جدوى هذه الحرب ايضا. وتحولت التساؤلات في بعض الاحيان الى اعادة نظر في المواقف السابقة والانتقال الى مواقف جديدة اكثر ايجابية ووعيا ومنطقية.

ففي "عل همشمار" (٩-٦) كتب الصحفي المعروف يغآل جلاي كلاما واضحا يعتذر فيه الى عيزر وايزمن .. كان وايزمن قد قال: (كل مكفود) اي كل الاحترام للجيش المصري الذي دمر خط بارليف. وفي حينه غضب جلاي وهاجم وايزمن. الا ان جلاي نفسه يكتب الآن عن المقاتلين الفلسطينيين:

"ان هؤلاء لا يتركون احذيتهم ليهربوا من القصف الجوي ربما كنت انا ايضا سأهرب. وانني لاعرف كثيرين من الجنود الاسرائيليين الذين اصيبوا في اقفيتهم. ولا بد من تذكيركم بأن الجندي المهاجم يصاب على العموم في صدره"!

ويرفض جلاي نعت "المخربين" الذي يطلقه الاعلام التخريبي الصهيوني على المقاتلين الفلسطينيين، ثم يؤكد:

"إن الجيش الفلسطيني يشكل اليوم تحديا حقيقيا. لم يعد الامر كما كان في سنوات السبعين. كل حملة على لبنان كانت تبدو آنذاك مثل شمة هواء. ليس ممتعا وليس مريحا ان نفكر بهذا الشكل، انما

من الافضل لنا رؤية الوقائع كما هي، حتى نستعد نفسيا لما هو أسوأ بكثير.

إن شعباً يملك جيشا كهذا سيكون له ايضا وطن. وذات يوم سنستقبل قائدهم في القدس وسنحييه: كل هكفود (كل الاحترام!)".

إن ما ينشر الان في الصحف الاسرائيلية من احتجاج على هذه الحرب الهمجية ومن دعوات للاعتراف بالحق الفلسطيني ليؤكد ان المئات بل الالوف من جيراننا اليهود اصبحوا على يقين من عبثية الشهوات والمطامع الصهيونية. ذلك ان رونالد ريغن لن يقوى على ايقاف الشمس فوق اسوار بيروت. ولن تتمكن قوات مناحم بن نون من ابادة كل ما هو حي في بلاد العرب. وحتى شهوة الدم والدمار التي هي مصدر مفضوح لنشوة الصهاينة الكبرى، لم يتح لها هذه المرة ان تبل غليلها تماما. فرغم الموت والتدمير اللذين يشيعهما الهمج والغزاة المتوحشون في كل زمان ومكان، واللذين أصابا فلسطين ولبنان بما يدمي الوجدان الانساني، فان الغزاة سيلعقون جراحهم زمنا طويلا.

والشعب الفلسطيني، الذي اصبح تجسيدا هائلا لضمائر الناس الشرفاء والمتحضرين في كل بقاع العالم، هذا الشعب الصغير والجميل والاسطوري في بطولته وفدائه، اصبح صيحة واحدة تزلزل اركان الوجود من أُسّسها:

لا نسيان... ولا غفران!

«كل العرب» باريس